الروائي اليمني برفيسور حبيب سروري لـ «الأيام»:

ليس لدي الوقت الكافي للكتابة الأدبية والأفكار تختمر في رحلة قطار أو في لحظة تسكع

«دملان» ثلاثية روائية ظهر جزآها الأول والثاني العامين الماضيين. تصدرها مؤسسة العفيف الثقافية خلال أيام بأجزائها الثلاثة كاملة في كتاب واحد (480 صفحة من المقاس الطويل) .. بهذه المناسبة أجرينا المقابلة التالية مع كاتبها بروفيسور حبيب عبدالرب سروري.

أجرت المقابلة: لارا نجيب الظراسي

● «دملان» هو اسم روايتك الأخيرة، حدثنا عنها في كلمتين!

– دملان حكاية طويلة راويها وجدان قحطان. حياته ملحمة من الفشل والهزائم رغم أنه لا يخلو من بعض المواهب وكثير من الصفاء والحب. تسيل حياته بين أصابعه عبثاً في ديكور ممتع ومضحك أحياناً، تنتهي به في هاوية، في «علبة ساردين».. لعله في ذلك يشبه الغالبية الساحقة من اليمنيين. هي أيضاً حكاية حياة صاحب وجدان ومحنته الوجودية: جعفر الدملاني، قبليّ السلوك، نصف أمي، كسول.. تقوده حياته إلى «المجد» والقمة. هي أيضاً حكاية حياة سوسن، مأساة تتناغم على إيقاع مأساة مدينتها: عدن. تكتظ الرواية أيضاً بشخوص كثيرة أخرى هامة أبرزها الأستاذ نجيب، بنسيج من القصص، وبأماكن عديدة متباعدة تنتقل جغرافيا من بحيرة مانيارا في تنزانيا إلى سانت مالو في فرنسا مروراً بعدن وصنعاء ومدن كثيرة أخرى بعضها خيالية بحتة مثل تنكاء. تنتقل الرواية زمنياً من فجر السبعينات وتنتهي اليوم. تنقسم الرواية إلى ثلاثة أجزاء تدور أساساً في 3 عوالم مختلفة. تبدأ الرواية في الفصول الأولى من الجزء الأول برحلة غريبة لا تنكشف أسرارها إلاّ بعد مئات الصفحات في نهاية الجزء الثالث.

● وماذا عن اسم «دملان»؟

– هو من ناحية اسم مملكة خيالية غريبة تقع في سفوح جبال الهملايا، واسم منطقة خيالية متخلفة تقع في اليمن. العلاقة بين المملكة والمنطقة علاقة عميقة متداخلة متعددة الجذور في الرواية.

● في دملان يتداخل الخيال مع الواقع، حدثنا عنهما، وعن البرزخ الذي يفصلهما؟

– أحداث وشخوص دملان خيالية بحتة، غير أن المدن والأماكن والرموز الاجتماعية والمنعطفات الزمنية الرئيسية التي تشكل مسرحاً للرواية مستوحاة من الواقع. الحق أني أريد أن يشعر القارئ أن كل ما يدور كأنه وجد حقاً، أريد أن يسقط في مطب متابعة كل ما حدث كأنه حدث حقاً.

باختصار شديد حاولت أن «أموضع» شخوصاً وأحداثاً خيالية بحتة في مسرح من طوبات الواقع، حاولت بكلمتين أن أؤثث الواقع بالخيال، غير أن الخيال هو ماكنة صناعة دملان الرئيسة، وتستشهد أول صفحات الرواية بعبارة اينشتاين الشهيرة: «الخيال أهم من المعرفة».. لعل مشروع دملان أرسى بالنسبة لي علاقة جديدة مع الخيال كجوهر للعمل الإبداعي، ومع الكتابة الروائية كخلق خيالي قبل كل شيء. بعد تجربة دملان اقتنعت أكثر من أي وقت مضى أن كتابة أية رواية تدور في فلك سيرة واقعية يظل خلقا أدبياً محدوداً نوعاً من «المحاضر» الأدبية في آخر التحليل. ربما يكون «محضراً» جميلاً جداً، جذاباً جداً، لكنه لا يطلق عنان الخيال ولا يفتح كل أبواب الخلق مثل الإبداع المترع بالخيال.

● إذن، ما وجه الشبه والفرق بين وجدان وحبيب تحديداً؟

– لا علاقة بين الرواي: وجدان، والكاتب: حبيب، من قريب أو بعيد، إن لم يكن كل واحد منهما عكس الآخر تماما. لعل مأساة وجدان الكبرى أنه لم يتمرد في حياته من قريب أو بعيد، ولم يقل «لا» يوماً. أحداث حياة وجدان مخترعة تماماً ولا علاقة لها بما عشته، ابتداءً من أدائه خطب الجمعة في طفولته إلى خدمته العسكرية، مروراً بكل أحداث حياته في سانت مالو (التي مررتُ فيها ساعات قليلة بشكل عابر)، وانتهاءً بعودته لليمن ونهايته في «علبة الساردين». لم يمنعني ذلك من تمرير بعض أذواقي الحياتية هنا وهناك باسمه وعلى لسانه. غير أن حبيب موجود في الرواية ببدايات اسمه الحقيقي: ح.ع.س، في دور ثانوي جداً.

● كذلك اسم والدك في الرواية نوع من الذكاء لإرباك القارئ، وإرغامه على الحيرة بين الحقيقة والخيال!

– أصبت كثيراً. اسم والدي ظهر مرة واحدة، عندَ الحديث عن الشيخ قاسم، (معلّمه)، والد المثقفين الرائعين عبدالباري ونورالدين قاسم. بالطبع، لا توجد أي علاقة بين قحطان والد الراوي (الذي كان ضحلاً معرفيا)، ووالد الكاتب الذي كان شغوفاً بالمعرفة والعلم، والذي ربما استطاع أن يعيرني شظايا من ذلك الشغف، لن أستطيع شكره بشكل كاف عليها.

● المرأة في دملان حاضرة بشكل تقديسي تقريباً.. أهذا رأيك؟

– المرأة حاضرة جداً بشخوص جوهرية في دملان أهمها: سوسن، تيماء، ايزا، نسرين، أريج... الحب المفقود، أو أزمة العلاقة العاطفية كما ألاحظها في المجتمع اليمني هي أحد أهم أبعاد الرواية. تصر الرواية في كل الأحوال على رفع المرأة إلى مكانها الجدير بها: جنس العطاء، الجنس الأرقى. أليست الجنة تحت أقدام الأمهات؟

● العلاقة بين الكمبيوتر والأدب واضحة في دملان.. ماذا أفاد كل منهما الآخر فيها؟

– هناك تفاعل كبير بينهما في دملان. الفصول المتعلقة بـ «شهرزاد»: البرنامج الآلي لكتابة الروايات الأدبية، مثال على ذلك، لعل تلك الفصول استخدمت بطريقة أدبية علوم البرمجة والذكاء الصناعي لهدف روائي. علاقة الراوي مثلاً ببرنامج شهرزاد وتفاعله معه بدأت بتغذية البرنامج بالأحداث والمواد الخام لصناعة الرواية عبر البرنامج، وانتهت كما تعلمين بكارثة. صار الراوي يغير من نفسه كمثل ما صار إليه في الرواية التي اخترعتها شهرزاد!.. ثمة «غمزة» هنا لجديد البحوث العلمية المتعلقة بـ «المشاعر الاصطناعية» في علوم «الذكاء الاصطناعي»، أحد أهم مجالات علوم الكمبيوتر. في الجزء الثالث من دملان أيضاً لجأ الراوي، على طريق مغامرة بحثه عن «أريج مرجان»، إلى استخدام «الموسيقى الإلكترونية». للكمبيوتر في هذه الفصول صاع وباع. بشكل عام، أظن أن الكمبيوتر بقدر دخوله الحياة من أوسع أبوابها، يدخل الأدب من أوسع أبوابه أيضاً.

● هل تؤمن بالأدب من أجل الأدب، أم الأدب لخدمة المجتمع؟

– سأجيب على هذا السؤال بالطريقة نفسها التي سأجيب عليه لو استخدمت كلمة الرياضيات بدلاً من الأدب: «هل تؤمن بالرياضيات من أجل الرياضيات أم الرياضيات لخدمة المجتمع؟» هناك قضايا وإشكاليات مفتوحة للأبحاث في الرياضيات «البحتة» لا علاقة لها بأي تطبيق عملي وفائدة مادية، تشغل منذ قرون أدمغة الباحثين. تسعى السياسات التعليمية الرأسمالية الحديثة إلى عدم دعمها بحجة أنه ليس لها مجالات تطبيقية ومردود مالي. أرفض شخصياً مثل هذه الاختيارات، لأن للرياضيات قضاياها النظرية البحتة وقضاياها التطبيقية، وكلاهما ضروري لتطور الرياضيات. كذلك حال الفن عموماً والأدب بشكل خاص، لا ينبغي أن يكون هدف الكتابة الأدبية نفعي بحت: خدمة المجتمع. لعل تطوير الأدب كأدب بحد ذاته هو الهدف الأنبل، غير أن ذلك يصعب غالباً دون أخذ الحياة والمجتمع كمادة خامة للعمل الأدبي، دون استخدام الكتابة كوسيلة للنقد، للإسعاد، للإمتاع، للرفض، للتعبير عن كل أوجه حياة الإنسان ومعاناته وأخيلته وهمومه وآماله، يصعب أن يتطور الأدب كأدب دون الإصغاء لهموم واستيهامات الإنسان، ودون التسكع في أحشاء الواقع ودهاليزه المظلمة.

● ما هي طقوسك في الكتابة؟

– الحق، ليس لدي الوقت الكافي المكرس للكتابة الأدبية بحكم أنها هواية إضافية بجانب عملي الرسمي الجامعي. لا أكتب عادة إلا في عطل الأسبوع والإجازات وبعض الليالي. غير أن أفكار معظم ما أكتبه يختمر غالباً في رحلة قطار، أو في لحظات تسكع مشياً على الأقدام في إجازة. أتحدث غالباً عن العمل الذي أكتبه، أثناء كتابته، مع زوجتي وابنتيّ! نضحك أحياناً، وأستفيد من تعليقاتهن وملاحظاتهن كثيراً في الغالب، إن لم يسعفنني أحياناً بفكرة هنا وهناك. أحب التفاعل مع الآخرين أيضاً أثناء الكتابة، هناك باقة من الاصدقاء الأعزاء أتفاعل معهم كثيراً بعد انتهاء مشروع أي عمل لسماع كيف استقبلوا النص، وكيف عاشوا لحظة قراءته، وقد شكرتهم كثيراً في صفحة شكر خاصة في نهاية دملان. أحاول – دون أن يشعروا – أن أكتشف من تعليقاتهم الفقرات التي تحتاج لإعادة صياغة .. أجمل لحظات الكتابة بالنسبة لي هي لحظات «التمليس» على كلمات النص النهائي، الذي أبحث فيه أساساً عن موسيقى معينة .. عن نكهة معينة.

● ما الجديد أدبياً وعلمياً عند حبيب عبدالرب سروري في الأيام القادمة؟

– أدبياً، حتى نهاية الصيف ليس لدي مشروع غير القراءة.. علمياً، هذه أجندة الأيام القريبة القادمة: سيدافع أحد طلبتي (ميكائيل كازاكوف) عن رسالة الدكتوراه التي أشرف عليها في 9 أبريل أمام لجنة فرنسية – روسية – ألمانية، وسأتوجه في الأسبوع الذي يتلو ذلك لإلقاء محاضرة في مؤتمر دولي عن هندسة البرمجيات في البرتغال.

تفاصيل مُحبطة

مازن فؤاد توفيق

(1)
خرائب زاهية بألوان القتلى
وصباح هامد،
لا يشاركني ثكنات الهزائم
وفضاء عانس،
كان يجادل في بداهات دهشته
الصاخبة

(2)
في غبش الذاكرة
أشباح من الشهوات
تختفي بين الضحايا
وتلهث إلى ما وراء
احتمالات الحروب

(3)
جسدٌ تنهض منه الرؤيا
يمنح أكاليل البهجة
اعتناقاً،
وعداً بالولادة
وهروباً بالنقائض

(4)
بعد منتصف الغياب
مكائده تسجل احتضاراً
وتدعو الجميع للغباء!

قصة قصيرة

صرخة طفولة

فاطمة رشاد ناشر

أنامل تمتد نحوها تنهش بقاياها المتعبة، لا تعرف لم لبثت تضمد جراحها.. يوماً، شهراً، عاماً، قرناً.. أم عدة قرون!
لا تتذكر أي شيء ..
طفولة مختبئة خلف أسوار الصمت .. عاشت سنواتها الأولى تتعلم النطق، وعندما بدأت تتكلم استمعوا إلى كلماتها بكل اهتمام.. شعروا أنها خطرة، فكبلوا لسانها كي لا تتكلم.
راحت تراقص الصمت بكل براءة .. تتذكر أنها ذات فجر اغتيل جسدها، ولكنها لم تصرخ، ظلت واقفة عند مفترق الضاد تفسر لغتهم، كيف تتحمل الجبروت كله؟
نضجت حواسها الخمس، ونمت سادسة لديها، كانت لا تستعملها إلا في لحظات صمتها الصارم.. كان لديها شجرة مليئة بالكروم، انتظرت نضوجها، حاولت جنيها قبل الأوان، قضمت واحدة تحولت إلى دماء لطخت فمها وثوبها الأبيض، صرخوا في وجهها:
– من فعل بك هذا؟
صمتت .. وصمتت .. حبست .. ألبسوها السواد .. صرخت في داخلها:
– إنهم يقتلوون اللغة، يعطلون كل وسيلة للحديث معهم!
مدت أناملها لليأس، كان يقترب منها بسرعة، حسبته أملاً، غلفته بقلبها المتعب، احتواها بلا رحمة، أصبحت منهوشة الجسد، امتدت أنامل إليها تنكرت لها برحمة، وضعت أناملها فيهما.. تشابكتا.. كانت تشعر بالخوف، والأنامل الأخرى ترسم لها أحلاماً زائفة في السماء.. كانت تضحك ببراءة وهي لا تعلم أن طفولتها تموت يوماً بعد يوم، أنامل محرقة تقتل براءة طفولتها.. صرخت:
– أنت تقتل طفولتي!
التفتت إليها، جذبت حلمها الطفولي، حولته إلى سراب، لا وجود له، شمت رائحة الحزن من بعيد، انتصبت تبخرت وتلاشت، وصرخات طفولتها ترج المكان:
– دعني أكون طفلة، لا تقتل براءة طفولتي!!

شتاء 2002/10/29

لكي لا نخطئ

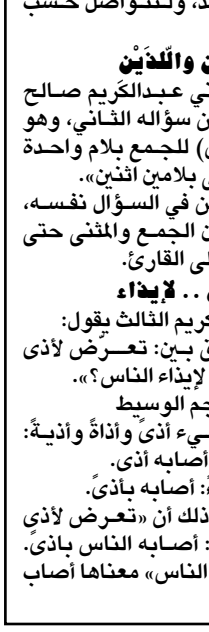

د. مبارك حسن الخليفة

وليد عبدالله من أصدقاء «لكي لا نخطئ»

وليد عبدالله (أعمال حرة) قابلته مصادفة، ودار بيننا حديث قصير أبدى فيه إعجابه بـ: «لكي لا نخطئ»، ثم عرفني بنفسه. وقادنا الحديث إلى أن أعرف منه معاني أسماء بعض الأماكن، وقد كنت أجهل معانيها، وتعميماً للفائدة أورد هذه الأسماء ومعانيها.

1– المُجراد، وهي منطقة خورمكسر، وقد ذكرها الشاعر القمندان في إحدى قصائده، قال وليد إنها محرفة من MAIN GAURD، وتعني الحرس الرئيس.

2– منطقة الرزميت، قال محرفة من REGIMENT وتعني مجموعة كبيرة من الجنود.

3– حافون، قال إنها من HEAV-EN وتعني السماء، وفي اللغة الإنجليزية الشخص الذي يموت يقال عنه: إنه ذهب إلى السماء.

شكراً يا وليد، ولنتواصل حسب الاتفاق.

الّذين واللّذَيْن

أعود إلى ابني عبدالكَريم صالح ناجي، لأجيب عن سؤاله الثاني، وهو «لمَ تكتب (الذين) للجمع بلام واحدة و«اللذين» للمثنى بلامين اثنين».

الإجابة تكمن في السؤال نفسه، وهي للتفرقة بين الجمع والمثنى حتى لا يختلط الأمر على القارئ.

لأذى .. لإيذاء

سؤال عبدالكريم الثالث يقول: «ما الفرق بين: تعرّض لأذى الناس، وتعرض لإيذاء الناس؟».

جاء في المعجم الوسيط
1– أذيَ الشيء أذىً وأذاةً وأذيةً: قَذِرَ، وأذيَ فلان: أصابه أذى.
2– آذاه إيذاءً: أصابه بأذىً.

يتضح من ذلك أن «تعرض لأذى الناس» معناها: أصابه الناس باذى. و«تعرّض لإيذاء الناس» معناها أصاب الناسَ بأذىً.

اعلان

اعلان